ASJP
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
Algerian Scientific Journal Platform
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 07، العدد: 02 (2022) ص : 01 - 09

آفاق تطبيق منهج الدراسة المصطلحية "للشاهد البوشيخي" على المصطلح القرآني

Prospects for applying the terminological study approach of Chahid Al-Bushikhi on the Qur'anic term"

آسيا بلمحنوف *
جامعة محمد الصديق بن يحي (الجزائر)
assiajijel849@gmail.com

أ.د عيسى لحيلح
جامعة محمد الصديق بن يحي (الجزائر)
assiajijel849@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/ 11/01
تاريخ القبول:
2022/06/20

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الدراسة المصطلحية
- ✓ المصطلح القرآني
- ✓ الشاهد البوشيخي

الملخص:

يعالج هذا البحث الموسوم بـ"آفاق تطبيق منهج الدراسة المصطلحية للشاهد البوشيخي على المصطلح القرآني". قضية منهج الدراسة المصطلحية عند البوشيخي وأفق تطبيقه على مصطلحات القرآن الكريم. وأثره في تحديد المفاهيم القرآنية والدلالة الشرعية التي نشأت من اعتبار السياق القرآني. وتعود أهمية هذا البحث إلى المكانة التي تحتلها المصطلحات القرآنية باعتبارها المفتاح لفقه النسق الكلي للقرآن الكريم. بالإضافة إلى الأهمية التي تحتلها مسألة المنهج في عالمنا العربي. وتنطلق هذه الدراسة من معالجة الإشكالية الآتية: ما الجديد الذي يقدمه منهج الدراسة المصطلحية من أجل استنباط مفاهيم القرآن الكريم. وما أثره في مسيرة التجديد التفسيري؟

Article info

Keywords:
- ✓ *Terminological study*
- ✓ *The Qur'anic term*
- ✓ *Chahid Al-Bushikhi*

Abstract :

This research, entitled "Prospects for applying the terminological study approach of Chahid Al-Bushikhi on the Qur'anic term", it deals with the issue of Al-Bushikhi's terminological study approach and its impact on defining Qur'anic concepts and the Islamic significance that arose from considering the Qur'anic context. The importance of this research is due to the position of the Qur'anic terms as they are the key in understanding the overall system of the Holy Qur'an, in addition to the importance of this approach in the Arabic world. This study is based on the following research question: What is the new contribution of the terminological study approach in understanding concepts of the Holy Qur'an and its impact on the process of interpretative renewal?

* **المؤلف المرسل:** آسيا بلمحنوف

مقدمة

يعدُّ البحثُ في المفاهيمِ القرآنِية من المسالك الصعبة التي تتطلب جُهدًا مُضاعفًا ووقتًا إضافيًا، وقد قدّم الباحثون والدارسون في علم اللغة، وعلم المصطلح، وعلوم القرآن منذ فترة زمنية قديمةٍ جُهودًا جادةً حاولوا من خِلالها أن يصلوا إلى نتائجَ أكثر دقة وهم بصددِ دراسة مصطلحات القرآن الكريم، لكن المشكلة الأكبر التي كانت ومازالت تقِف أمام فهم طبيعة المصطلح القرآني هي مشكلة المنهج، ومُشكلةُ المنهج لا شكَّ عامةٌ في شتى العلوم، لكنها تزداد تعقيدًا إذا تعلق الأمر بدراسة المصطلحات القرآنية، وذلك نظرًا لما يتميز به المصطلح القرآني من خصوصيات تُميزه عن مصطلحات باقي العلوم والمجالات المعرفية الأخرى؛ مُصطلحات أقلُّ ما يمكن أن يُقال عنها أنّها مُحكمَة البناء، مُفصلة المعنى من لدن حكيم خبير، إضافة إلى تعلقِ المسألة المصطلحية في عالمنا العربي بهوية الأمة الدينية الإسلامية، أي كون المسألة المصطلحية مسألة حضارية تتعلق بماضي الأمة وحاضرها، وكذا مُستقبَلها، وباعتبار هذه الخصوصيات وغيرها _مما سيأتي ذكره لاحقًا_ تجلّى للباحثين ضرورة استخدام منهج خاص وصارم يتماشى وطبيعة المصطلح القرآني.

إنّ حاجة الدرس القرآني للدرس المصطلحي في وقتنا الحالي أصبحت مُلِحةً، نظرا لحاجة الأمة لفهم مصطلحات قُرآنِها، وتصحيح فهمِها عنها، والتصحيحُ لا بدَّ منه فكثير من مفاهيم المصطلحات القرآنية التي قدّمها بعض المفسرين متأثرةٌ باختياراتهم العقدِية والفِقهية، وليس هذا اتهامًا لهم أو انتقاصًا من جهودهم، لكن هذا التأثر يحدث في الغالب من غير إدراك من المفسّر، ورغم تزاحم المناهج في محاولة تفسير المصطلحات القرآنية ومن ثمَّ فهم النسق الكلّي للقرآن الكريم، إلاّ أنّ دراسة المصطلح القرآني لازالت تفتقر للمنهج الدقيق، ولتحيين المناهج التي استعملتها الدراسات التراثية، وأيضًا الجرأة العلمية المبنية على أسس معرفية ودينية لتجاوز الفهم القديم، فالقدامى فهموا المصطلحات القرآنية وفق ظروفهم وبأدواتهم ووسائلهم التي أُتِيحت لهم، وللمحدثين أيضًا لهم أن يفعلوا ذلك بمناهجهم ووسائلهم الجديدة، ذلك أنّ القرآن الكريم قد نزل للعالمين ينهلون منه على امتداد أمكنتهم وأزمنتهم، ولا شك أنَّ محاصرة القرآن الكريم بأفهامٍ مُحددة تُمليها المذهبية الدينية والفكرية تقييدٌ للعقل الإنساني، ومُصادرة للرأي والاجتهاد، واحتكارٌ للفهم، وتكريسٌ لا طائل منه للخطاب الطائفي المتشدد، وتجديدُ فهم المصطلحات القرآنية أصبح حاجة ضرورية إذا ما أرادت الأمة الإسلامية تجديد ذاتها، ولن يكون لها هذا إلا بتجدد فهم كِتابها، وهو الآخر مرتبط بتجدد فهم مصطلحاته فهمًا دقيقًا، ذلك أن المصطلحات مفاتيح العلوم بها نلج خبايا النصوص وأسرارها وأنساقها، والباحث في أي علم إذا لم يتمكن من آلته وهي "مصطلحاته" لم يستفد أي شيء من تلكم العلوم، وفكرة التجديد غير مرتبطة بزمان أو مكان بقدر ما هي مرتبطةٌ بإيجاد إجراءات منهجية علمية دقيقة لفهم النص التراثي عامة ونصوص الوحي بصفة خاصة، وتجدر الإشارة إلى أنّ عملية التحول الذهني واختلاف أدوات فهم المصطلحات القرآنية، وتلقيها، وتباين متغيرات العصر الاجتماعية والسياسية والمعرفية من شأنها أن تُفرز أفهامًا دينية متباينة، ومتصارعة على صعيد البنية الإيديولوجية قد تصل إلى حدّ التكفير من بعض الفرق الدينية، خاصة إذا تعلق الأمر بمصطلحات العقيدة، كمصطلح: القدر، والبدعة وغيرهما، وهذه القراءات الجديدة التي تنتج عن المعطيات المستجدة قد يراها المدافعون عن الفهم التراثي صورة مقلوبة للفهم الأصلي أو الفهم القديم الذي يُعدّ ركيزة كبرى لفهم القرآن الكريم، ويرون في محاولات التجديد التي تتجاوز الفهم التراثي خطوة جريئة نحو التحريف، بينما يراها المدافعون عن فكرة التجديد في فهم مصطلحات القرآن صورة من صور استجابة القرآن الكريم للواقع الإنساني المتنوع والمتغير، وما يُمكن أن يُقال في هذا السياق أنّ العجز عن إدراك الأدوات المعرفية التي بها نتجت هذه الأفهام الجديدة ينشأ عنه رفض كليّ، وإدانة شديدة لهذا الفهم، على اعتبار أنه نشأ تذييلاً للأصل الأول وانحدارًا عنه، وابتعادًا، لهذا فكل محاولة تجديدة هي محل الشك، والمراقبة، والريبة، والخوف، لأنّها ستكون _حسبهم_ قفزًا غير مبرر نحو التحريف، إلاّ أنّ التجديد وإن رآه البعض بهذه الصورة السلبية سيظلُّ ضرورة حضارية وجب على

الأمة السير باتجاهه إن رامت مجدها وعُلاها، كما أنَّ التصدي لمصطلحات القرآن الكريم من غير منهج قويم مرتكز على خطوات دقيقة سيؤدي إلى نتائج غير دقيقة، وكم زلّت أفهام وتاهت أقلام بسبب عدم دقة المنهج المتبع في الدراسة.

لقد فهِم كثير من أعلام الدرس المصطلحي في العالم العربي حاجة الأمة إلى ضبط المنهج المستخدم في دراسة المصطلح القرآني، وكان على رأس هؤلاء شيخ الصناعة الدكتور الشاهد البوشيخي الذي قدّم مُقترحه لدراسة المصطلح القرآني وسمّاه "منهج الدراسة المصطلحية"، الذي يعتبِره البوشيخي بمثابة تصورٍ حضاري شاملٍ للمسألة المصطلحية، وقد تبلورت أسس هذا المنهج بدايةً في ميدان المصطلح النقدي والبلاغي، ثم انتقل تطبيقه إلى مصطلحات القرآن الكريم ومصطلحات مختلف العلوم والفنون؛ فقد كان هذا المنهج ثمرة من ثمار بحثِ البوشيخي في ميدان المصطلح النقدي، ولم يكتف البوشيخي بطرح منهجه في مؤلفاته فحسب، بل عمل على تأسيس – رفقه مجموعة من الباحثين – معهدًا مُتخصصًا في الدراسة المصطلحية أُطلق عليه "معهد الدراسات المصطلحية" بمدينة فاس المغربية، وأصبح هذا المعهد صرحًا علميًا يتخرج منه الكثير من الباحثين ويتكون فيه نخبة من الأساتذة المتخصصين في الدرس المصطلحي، وتُقام فيه العديد من الندوات والدورات العلمية لِتكوين الباحثين في ميدان المصطلح القرآني، وستعتمد هذه الدراسة على أهم مصنفات الدكتور، لعل أهمها: نظرات في المصطلح والمنهج_، إضافة إلى مجموع مقالاته المنشورة في مجلة الدراسة المصطلحية ومجلات أخرى، كما ستعتمد الدراسة على مصنفات تلاميذه الأساتذة والذين كتبوا في منهج الدراسة المصطلحية، على أن تكون إشكالية هذا البحث مبنية على التساؤل الآتي: ما الجديد الذي يُقدّمه منهج الدراسة المصطلحية من أجل استنباط مفاهيم القرآن الكريم، وما أثره في مسيرة التجديد التفسيري؟، وفي محاولة للوصول إلى أجوبة مُرضية عن هذه الإشكالية اخترنا المنهج الوصفي التحليلي كأداة لخوض غمار هذا البحث الذي سيتوقف عند المحطات الأتية:

1. مفهوم المصطلح القرآني، وخصائصه المميزةُ له.
2. الفرق بين "المصطلح القرآني" و"مصطلحات علوم القرآن"، و"المصطلح الإسلامي "
3. أركان منهج الدراسة المصطلحية.
4. أثر منهج الدراسة المصطلحية في تجديد فهم مصطلحات القرآن الكريم.

1. مفهوم المصطلح القرآني

بداية قد يُبدي بعض الباحثين اعتراضًا على وصف بعض المفاهيم القرآنية بالمصطلحات، في الوقت الذي يُدافع فيه كثيرون عن اصطلاحية المفاهيم القرآنية، والخلاف بين العلماء والدارسين في هذه المسألة يعود إلى اختلاف تعريفات المصطلح قديمًا وحديثًا، والتي يمكن أن نُميز فيها بين اتجاهين اثنين، الاتجاه الأول يجعل من الاتفاق بين جماعة معينة أصلاً في وضع المصطلحات، والاتجاه الثاني لا يجعل الاتفاق شرطًا ويكتفي بشرطين أساسيين وهما أن يكون دال على مفهوم معين، وانتماؤه إلى مجال معرفي معين، وهذا الاختلاف في تعريف المصطلح ينتج عنه موقفين اثنين من المصطلح القرآني، هما:

أ. عدم القول بوجود مصطلح قرآني

ب. القول بوجود مصطلح قرآني

وفي دراساتهم اختار أصحاب الاتجاه الأول إتباع تسميات القدامى التي وظفوها في عناوين مُصنفاتهم أو متونها، وعلى رأسهم علماء التفسير، ومن ألفوا في كتب الوجوه والنظائر الذين استخدموا عبارات من قبيل " الكلمات الإسلامية"، و"ألفاظ القرآن الكريم"،

و"مفردات القرآن الكريم"، و"كلمات القرآن الكريم"، بينما لم يستخدموا في مُصنفاتهم تسميات من قبيل "مصطلحات القرآن الكريم"، أو تسمية "المصطلح القرآني"، إذ « كان الغالب استعمالهم لِما يدلُّ على المصطلح وهو: الألفاظ القرآنية أو مفردات ألفاظ القرآن مما يعني إدراكًا مبكرًا للفرق بين هذا وبين المصطلح الذي يَقتضي أن يكون هناك اتِّفاق من علماء علم معيَّن يصطلحونه على مَعنًى معيَّن للفظٍ معيَّن، بينما العناوين السابقة تدلُّ على غير ذلك؛ فهي ألفاظ إسلامية قرآنية شرعية، وليست اصطلاحية، إذا نحن رُمْنَا صواب الدقَّة في التعبير» (أنفلوس ع.، 2016)، لكن مجرد النظر إلى واقع المصطلحات سيحيلنا إلى أن الاتفاق ليس دائما شرطا في وضع المصطلحات، فقد يضع باحث ما في مجال معرفي ما مُصطلحا ويشيع ويتداول بين الباحثين في ذلك التخصص ويُنسب إلى الباحث الذي وضعه أول الأمر من غير أن يكون قد اتفق مع جماعة بعينها على استعماله، وهنا تتأكد فكرة « أن المصطلح ليس رهينًا دوما باتفاق مشترك بين طرفين بل قد يكون موضوعا من طرف واحد يجري عليه التعبير في دلالة معينة على سبيل الاطراد دون اعتبار لموافقة المخاطبين أو اشتراكهم في وضعه، وإنّما يكون دورهم تقصي الاستعمالات من قبل الطرف ليقفوا على الدلالة المطردة في تعبيره» (الرومي، 2004، صفحة 08)، وقد أنكر البوشيخي على الذين ينفون صفة المصطلحية على مفاهيم القرآن الكريم، ورأى أنّها أولى من غيرها بأن تُوصف بالمصطلحية، يقول في هذا الشأن: « كيف يسوغ أن تتردد نفوس في اعتبار الألفاظ القرآنية مصطلحات، وهي لها من الخصوصية والخصوبة المفهومية، بحكم قرآنيتها ما ليس لمثلها من الألفاظ، في أي علم من العلوم، بحكم بشريتها، كيف يجوز أن تُسلّم نفوس بمصطلحية ألفاظ كلّ طائفة، أو فرقة، أو مذهب (...) ثمّ لا تُسلّم بمصطلحية "ألفاظ أصل الدين" وهي ألفاظ كتاب "ربّ العالمين"» (البوشيخي، 2009، صفحة 07)، لهذا فإنّ الألفاظ القرآنية بدلالتها الشرعية الطارئة وحمولتها المفاهيمية أصبحت مصطلحات، ومن نافل القول أن نُشير في هذا المقام إلى أن المدافعين عن فكرة وجود المصطلح القرآني لا يدعون بأنّ كل ما ذُكِر في القرآن الكريم يُسمى مُصطلحًا، بل يعتبرون كل لفظ اكتسب معنى جديدا ضمن سياقه القرآني مُصطلحًا، وقد استدل أصحاب هذا الموقف في دفاعهم على فكرة المصطلح القرآني بأدلة كثيرة، أشهرها قولهم بأنَّه احتوى على الشرطين الذين وضعهما أصحاب الاتجاه الثاني في تعريف المصطلح اللذين ذُكِر آنفًا، وهذين الشرطين يتمثلان في المصطلح القرآني بشكلٍ واضحٍ، ذلك أنَّ:

أ. المصطلح القرآني دال على مفهوم معين

ب. المصطلح القرآني ينتمي إلى مجال معين، وهو مجال القرآن الكريم

ولأنّ الكلام لابد سيطول إذا استرسلنا في ذكر ما قاله المؤسسون والمعارضون لفكرة المصطلح القرآني، سنكتفي عند هذه النقاط التي أوردناها كي لا يخرج البحث عن أهدافه التي سُطرت أولاً.

وفيما يتعلق بمفهوم "المصطلح القرآني" فأول ما يمكن أن نقول عنه أنّه مُركبٌ لفظي من كلمتين "مصطلح" و"قرآن"، أما عن مفهومه فقد أورد الشاهد البوشيخي وتلاميذه من المدرسة الفاسية تعاريف دقيقةً له، وذلك في إطار اهتمامهم بالمسألة المصطلحية في العالم العربي عموما وبالمصطلح التراثي والقرآني على وجه الخصوص، وفي هذا المقام سنكتفي بذِكر ما رأيناه شاملاً مُعلقين عليها، وعلى رأس هذه التعريفات تعريف الشاهد البوشيخي الذي يقول: « يُقصد بالمصطلحات القرآنية كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تُؤول بالاسمية، ويلحق بها أسماء الذوات غير الأعلام، لِشبهها القوي بها، واختلاف الناس في مفهومها، أما أسماء الأعلام والأدوات والحروف، فخروجها من هذا أظهر من أن يخفى، وقد اعتبرت تلك الأسماء مصطلحات، للخصوصية الدلالية التي صارت لها داخل الرؤية القرآنية، والتي إن لم يتفطن لها، ويصدر في الفهم والاستنباط عنها، كان الاختلال في ذلك بقدر الإخلال» (البوشيخي، 2009، الصفحات 06-07)،

ومن خلال هذا التعريف يُلاحظ أن البوشيخي حاول تقديم تصورٍ شاملٍ ودقيقٍ للمصطلح القرآني، وربط الاصطلاحية بالإسمية، وأخرج أسماء الأعلام كأسماء الأنبياء مثلا من قائمة المصطلحات القرآنية، كما نفى عن الحروف والأدوات صفة المصطلحية، في حين أدرج كلَّ أسماء المعاني الموجودة في القرآن الكريم وأسماء الصفات المشتقة منها تحت مسمى المصطلح القرآني، وذلك لما اكتسبته من خصوصية دلالية داخل الرؤية القرآنية، وهذه الأسماء بالنسبة للبوشيخي هي مصطلحات قرآنية سواء كانت مفردة أو مركبة، على أن يخضع التركيب في هذا السياق للقانون المصطلحي، فيكون المصطلح المركب نِتاج عملية التركيب المصطلحي والذي يتم بين مصطلحين أو أكثر، لكن ينبغي أن يُعلم أن التركيب المصطلحي لا يجب أن يبلغ مبلغ الجملة، وإلاّ صار جملة وليس تركيبا اصطلاحيا، وكلّما زادت العناصر المكونة للمصطلح المركب كان أكثر غموضًا وتعقيدًا وبُعدا عن الأذهان.

وتُقدّم الباحثة المغربية فريدة زمرد إحدى أبرز تلميذات الشاهد البوشيخي تعريفًا للمصطلح القرآني مُستخلَصًا من بحوثها في هذا المجال، تقول الدكتورة مُعرفة المصطلح القرآني: « إذا كان المصطلح عامة هو اللفظ الدال على مفهوم خاص في مجال معين فإنّه بإضافته إلى القرآن يدل على اللفظ القرآني الذي يعبّر عن مفهوم قرآني خاص ضمن التصور القرآني العام» (زمرد، 2014، صفحة 03)، وبقراءة سريعة لهذا التعريف يتبين أنّ ليس كل لفظ موجود في القرآن الكريم يأخذ صفة المصطلح، إذ إن الألفاظ القرآنية لا تكون مصطلحات إلا إذا دلّت على مفهوم قرآني خاص وجديد، وهذا المفهوم ناتج عن مراعاة السياق القرآني، وهذا المعنى الجديد لا يلغي المعنى اللغوي القديم الذي عُرفت به، بل إنه يتعلق به بطريقة ما، فالعبرة بتقديم معنى جديد والحفاظ على المعنى اللغوي الأول، وعليه فإنّ الحروف والأدوات وأسماء الأعلام لا تدخل ضمن قائمة المصطلحات القرآنية لأنّها لا تُقدّم معنى جديدا للمعنى اللغوي الذي وُضعت له، فشرط المصطلحات القرآنية انطلاقا من هذا المبدأ أن تكون دالة على مفهوم جديد مرتبط بالسياق القرآني، ولم يكن معروفا عند العرب قبل نزول الوحي، مع شرط آخر وهو بقاء معناه اللغوي الذي عُرف به، وبهذا تتجاوز المصطلحات القرآنية المعاني اللغوية لترتقي بها إلى معان شرعية خاصة يحددها السياق القرآني.

2. الفرق بين "المصطلح القرآني" و"مصطلحات علوم القرآن"، و"المصطلح الإسلامي"

قد يتداخل المصطلح القرآني مع بعض المصطلحات التي تبدو لأول وهلة مترادفة معه، لكن المتخصصين في ميدان المصطلحية، يُدركون جيّدا أن للمصطلح القرآني مفهوما واحدا، فلا يمكن أن يعبّر المصطلح الإسلامي عن مفهوم المصطلح القرآني، ذلك أن الأول أشمل من الثاني، فهو يضم كل مصطلح قرآني أو حديثي أو ينتمي إلى حقل من حقول العلوم الإسلامية، أما المصطلح القرآني فهو كل لفظ اكتسب دلالة جديدة داخل السياق القرآني، وعليه فإنّ كلّ مصطلح قرآني إسلامي بالضرورة، وليس كل مصطلح إسلامي قرآني، كما يختلف مفهوم "المصطلحات القرآنية" عن مفهوم "مصطلحات علوم القرآن"، « فأما الثانية فهي ناشئة في أحضان العلوم التي وضعها العلماء خدمة للقرآن، وذلك بناء على المعنى الأول الذي يحتمله مصطلح "علوم القرآن"؛ إذ هناك معنى ثان وهو العلوم التي في القرآن فهي مستنبطة منه أو مستفادة، بمعنى أن هناك علوما خادمة وعلوما مستنبطة، فعلى المعنى الأول لا تدخل مصطلحات علوم القرآن فيما نحن فيه، وأما الأول وهو "المصطلح القرآني" فالمقصود به: الألفاظ القرآنية المفردة التي لها مفاهيم، ويُستثنى منها الحروف والأدوات التي لا تستقل بالمعنى» (فوضيل، 2002، الصفحات 59-60)، وعليه فإن مصطلحات علوم القرآن ترتبط بالعلوم التي نشأت في أحضان القرآن الكريم كعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم التفسير، وغيرها من العلوم، بينما تكون المصطلحات القرآنية متعلقة بالقرآن الكريم لا بعلومه.

3. أركان منهج الدراسة المصطلحية

يجمع منهج الدراسة المصطلحية عند البوشيخي بين منهجين يُكملان بعضهما البعض، وهما المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، كما اعتمد شيخ الصناعة على مبدأ العِلمية في تطبيق أركان هذا المنهج، والمقصود بالعِلمية تلك الآليات التي تُستخدم أثناء الدراسة من قبيل التحليل، والتعليل، والاستيعاب، والاستناج، وغيرها، وفيما يلي عرض لأهم أركان منهج الدراسة المصطلحية كما اقترحها صاحب المنهج.

1.3. الدراسة الإحصائية

تعتمد الدراسة الإحصائية في منهج الدراسة المصطلحية على الاستقراء التَّام للمصطلح داخل النص الذي ورد فيه، وما يتصل به لفظًا ومفهومًا وقضيةً، ويُعرف الشاهد البوشيخي الإحصاء بقوله: « الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظًا ومفهومًا وقضيةً، في المتن المدروس» (البوشيخي، 2004، صفحة 22)، وعليه فإنّ الإحصاء هو جمع، ووصف، وتحليل للمصطلح بمختلف صيغه الاشتقاقية في المتن الذي هو قيد الدراسة، وتعد الدراسة الإحصائية بمثابة دعامة أولى لما سيأتي بعدها من أركان، وعملية الإحصاء التام للمصطلح لا بد أن تمرّ بأربع خطوات لتكون دقيقة وتحقق الأهداف المنشودة منها، وهذه الخطوات هي:

أ. إحصاء لفظ المصطلح إحصاءً تامًّا

ب. إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي

ت. إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاءً تاما

ث. إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه

2.3. الدراسة المعجمية

تُعدّ الدراسة المعجمية الركن الثاني من أركان منهج الدراسة المصطلحية، وقد سُميت هذه المرحلة بهذا الإسم لأنّها تعتمد على المعاجم العربية بنوعيها اللغوية والاصطلاحية، حيث يقتضي هذا الركن العودة إلى المعاجم اللغوية والاصطلاحية الخاصة باللغة العربية قديمها وحديثها، مع مراعاة ترتيبها الزمني، وذلك بُغية تقصيّ معاني المصطلح المدروس تقصيًا دقيقًا، وضبط خصائصه المميزة له، ومعرفة « من أي المعاني اللغوية أُخذ المصطلح، وبأي الشروح شُرح المصطلح، وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي يكون جلبها الإحصاء» (البوشيخي، 2004، صفحة 24) ، وعليه فإن أهداف الدراسة المعجمية حسب البوشيخي تتمثل في:

- معرفة الأصل اللغوي للمصطلح
- تحديد المعنى اللغوي الراجح أن منه أُخِذ المعنى الاصطلاحي
- التفقه في المصطلح، وتذوقه

3.3. الدراسة النصية

بعد عملية الإحصاء للمصطلح، ودراسته مُعجميًا، وتحديد نتائج الدراسة الإحصائية والدراسة المعجمية، يأتي الركن الثالث من أركان منهج الدراسة المصطلحية، وهو ركن الدراسة النصية، ويقوم هذا الركن على دراسة المصطلح وما يتصل به من مشتقات انطلاقًا من المتن الذي هو قيد الدراسة، وتعدُّ الدراسة النصية ركنًا مُهمًا لا يُستغنى عنه في الدراسة المصطلحية، بل إنّه « عمود منهج الدراسة

المصطلحية، وما قبّله يُمهد له، وما بعده يستمد منه، إذا أُحسِن فيه بوركت النتائج، وزكّت الثمار، وإذا أُسيء فيه لم تُفض الدراسة إلى شيء يُذّكر» (البوشيخي، 2004، صفحة 24)، والسبب في اعتباره عمود الدراسة المصطلحية هو كون الباحث فيه يدرس دلالة المصطلح باعتبار النص الذي ورد فيه، وليس باعتباره معناه المعجمي فقط، فوظيفة الباحث في هذا الركن ليس إظهار التعريف فقط كما فعل في الركن الثاني من أركان منهج الدراسة المصطلحية، إنّما مهمته في الدراسة النصية هو تحقيق الدقة التعريفية، وتحديد خصائص المصطلح وسماته المميزة له، وذلك بغية التأكد من اصطلاحيته أو عدمها، وكذا من قوتها أو ضعفها داخل المجال العلمي الذي تنتمي إليه.

4.3. الدراسة المفهومية

تعتمد الدراسة المفهومية بشكل أساسي على ما سبقها من النتائج التي توصلت إليها الأركان التي سبقتها، إذ لا يُستخلص المفهوم إلاّ بعد فهم نتائج عملية الإحصاء والدراسة المعجمية، والدراسة النصية التي تُراعي سياق النص، إلا أنّه يمكن أن نقول بأن الدراسة المفهومية هي مواصة للدراسة النصية، إذ تتعلق بنتائجها تعلقًا مباشرا، « ويُقصد بها دراسة النتائج التي فُهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفًا مفهوميًا يُجلّي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس» (البوشيخي، 2004، صفحة 25) ، وعليه فإنّ الدراسة المفهومية داخل منهج الدراسة المصطلحية هي عملية استنتاجية لمختلف المعاني المفهومة من المصطلحات المدروسة مصنفة وفق نسق مفهومي معين، « وذلك من خلال ذكر أهم العناصر المكونة لبنية المفهوم من تعريف يحدد ذات المصطلح ودلالته، وصفات ملتصقة بهذه الذات تبين خصائصها ومميزاتها: كالتي تبرز موقع المصطلح داخل أسرته المفهومية، أو تبين مدى قوته أو ضعفه الاصطلاحيين، أو تحكم له أو عليه بأصناف الأحكام القيمية المختلفة، وعلاقات تربطه بما حوله من ألفاظ ومصطلحات فتزيده بيانا وتمييزا، وضمائم تنبئ عن تشعبه ونموه داخل ذاته، لانضمامه إلى غيره، أو انضمام غيره إليه من المصطحات والألفاظ، ومشتقات تنأى به عن نفسه» (زمرد، 2014، صفحة 53)، لهذا كان هذا الركن بمثابة الأساس الذي بُني عليه منهج الدراسة المصطلحية، ففيه يستخرج الدارس تعريف المصطلح، وصفاته الخاصة به، وعلاقاته، وضمائمه، ومشتقاته، وقضاياه.

5.3. العرض المصطلحي

وهو آخر ركنٍ في منهج الدراسة المصطلحية، يقوم على عرض النتائج التي توصّل إليها الباحث المصطلحي أثناء تطبيقه لأركان منهج الدراسة المصطلحية على المصطلح المدروس، وعرض نتائج الدراسة يتم وفق نظام معين، حيث يشتمل العرض المصطلحي على العناصر الآتية:

- عرض التعريف: ويشمل المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، ومفهوم المصطلح المدروس.
- عرض الخصائص والصفات المستنبطة
- عرض علاقات المصطلح المختلفة (الإئتلاف، والاختلاف، والتداخل والتكامل)
- عرض ضمائم المصطلح، ومشتقاته، وقضاياه

4. أثر منهج الدراسة المصطلحية في تجديد فهم مصطلحات القرآن الكريم

عظّم البوشيخي من منهج الدراسة المصطلحية، ورأى فيه الحل لمعالجة مشاكل المسألة المصطلحية في العالم العربي، وكما ذكرنا سابقا فإنّ منهج الدراسة المصطلحية قد نشأ أولاً في ميدان المصطلح النقدي والبلاغي، ثم امتدت تطبيقاته إلى مجالات معرفية أخرى على رأسها علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم النحو وغيرها من العلوم النقلية والمادية، وكان الباعث وراء ظهور هذا المنهج هو وعي البوشيخي بقيمة

المسألة المصطلحية، ومعضلتها العويصة التي تتطلب حلولاً مستعجلة، ونظرا للأهمية البالغة التي يحتلها المنهج داخل العلوم القرآنية، ولما كانت المصطلحات مفاتيح العلوم وبابها الأول كان أولى باتخاذها وسيلة من وسائل فهم تلك العلوم، ومنهج الدراسة المصطلحية إحدى تلك المناهج التي تضع الأسس العامة لفهم المصطلحات، ثم تترك للباحث المجال واسعًا لاستنباط مفهوم المصطلح وخصائصه المميزة له، وتكون دقته في استنباط المعنى بحسب إدراكه للأهداف المنشودة، وحسن توظيفه للوسائل المنهجية المتاحة له، وقدرته على ضبطها والتحكم فيها، ولا شكّ أن البوشيخي بمنهجه هذا قد « أسهم بجهود كبيرة في إرساء الأسس العلمية في دراسة المصطلح، سواء من ناحية الأفكار النظرية الرائدة أو الأعمال التطبيقية القيمة، التي سرعات ما راحت أصداؤها تنعكس في ممارسات عدد غير قليل من الباحثين والنقاد وتطبيقاتهم، سواء داخل البيئة المغربية أو خارجها» (برحو، 2020، صفحة 44)، ومن أهم ما يمكن تلخيصه فيما يتعلق بإسهامات منهج الدراسة المصطلحية في تجلية مفاهيم المصطلحات القرآنية، وتحديدها:

1. تحديد المفهوم القرآني بدقةٍ.
2. استنباط صفات المصطلحات القرآنية، وما تتميز به عن غيرها من المصطلحات.
3. حفظ المصطلحات القرآنية من التحريف، وحفظ المصطلحات هو حفظٌ للمفاهيم القرآنية عامة من التحريف.
4. تخليص المفاهيم القرآنية من أثر الاختيارات العقدية والمذهبية، والتوجهات الفكرية.
5. تخليص بعض المفاهيم القرآنية من التحريف الذي لحقها في فترات تاريخية ماضية
6. من شأن منهج الدراسة المصطلحية بأركانه الدقيقة، أن يتجاوز الانتقائية التي وقعت فيها بعض المناهج السابقة له، وأن يُقدّم تفاسير جديدة للقرآن الكريم، تفاسير تستلهم من الماضي، وتواكب الحاضر.

خاتمة

قد لا نبالغ إذا قلنا بأنّ منهج الدراسة المصطلحية عند الشاهد البوشيخي من شأنه أن يُقدّم تعريفات دقيقة للمصطلح القرآني، خاصة إذا طُبق المنهج من طرف باحث بارعٍ في اللغة، متخصصٍ في المصطلحية، ولا شك أن هذا المنهج في دراسته للمصطلح القرآني له ما له من حسنات على الدرس المصطلحي، خاصة وأنّه يُراعي خصوصية الذات العربية ثقافيا ودينيا، بل ويضعها ضمن الأوليات التي يجب أن تُراعى أثناء الدراسة، كما أنّه يعطي الأهمية البالغة لِتراثنا المصطلحي، ويعمل على مساءلته واستنطاقه، وتبرز أهمية الدراسة المصطلحية لمفاهيم القرآن الكريم في أنّه يركز على فهم المصطلح الذي يمثل جزءًا من النص الذي ورد فيه المصطلح، ولاشكَّ في أنَّ فهم جزئياته يؤدي إلى فقه كلياته، ولا سبيل لفهم النسق الكلي للقرآن الكريم إذا لم نفهم مصطلحاته، ولسنا ندعي هنا أن مجرد فقه المصطلحات يؤدي إلى فهم نصوص الوحي قرآنا وسنة، بل إننا نعتبر المصطلحات بابا مهما من شأنه أن يُساهم في فهم النص وبيان مراده، ومع ما يتميز به منهج الدراسة المصطلحية من دقة وصرامة، إلا أنّه يحتاج لتطويره إلى مزيد من الجهود المتضافرة بين الباحثين والمؤسسات العلمية التي تُعنى بشؤون المصطلح، خاصة وأن بعض أركانه شاقة في البحث وفي الغالب تحتاج إلى برامج حاسوبية من شأنها تسهيل عملية البحث.

قائمة المراجع

1- الشاهد البوشيخي. (2004). *نظرات في المصطلح والمنهج _ دراسات مصطلحية _*. المغرب: مطبعة أنفو برانت.

2- الشاهد البوشيخي. (2009). *نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة _ سلسلة دراسات مصطلحية _*. المغرب: مطبعة أنفو برانت.

3- عبد العظيم أنفلوس. (07 09, 2016). *المصطلح القرآني مدخل علمي لشهود حضاري*. تم الاسترداد من موقع الألوكة: https://www.alukah.net/sharia/0/107502

4- فريدة زمرد. (2014). *مفهوم التأويل في القرآن الكريم _ دراسة مصطلحية _*. المغرب: مركز الدراسات القرآنية.

5- فهد عبد الرحمن الرومي. (2004). *تحريف المصطلحات القرآنية وآثاره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر*. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

6- محمد برحو. (10 11, 2020). المشروع المصطلحي لدى البوشيخي: التصور النظري والمنجز العملي. *دراسات لسانية*، صفحة 44.

7- مصطفى فوضيل. (00 00, 2002). المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم. *دراسات مصطلحية*، الصفحات 59-60.